

٤١ عاماً على انتصار ٧٣ .. د. إبراهيم الجراوى يحقق فى وثائق إسرائيل الممنوعة عن نصر أكتوبر (الحلقة الثانية)

٢٠١٤/١٠/٧



مفاجآت جديدة تكتشفها كلما تجولت فى العشرة آلاف صفحة من الوثائق السرية الإسرائيلية الخاصة بحرب أكتوبر والتي أفرجت السلطات عن أهمها اعتباراً من الذكرى الأربعين للحرب.

من المفاجآت التى تستحق التوقف للتأمل والدراسة واستخلاص الدروس المستفادة من جانبنا كما يفعل الإسرائيليون مفاجأة اكتشفتها لجنة إجراءات التى شكلت للتحقيق فى أسباب الهزيمة الإسرائيلية.. لقد كان أحد الأسئلة الرئيسية التى وجهتها اللجنة لرئيسة الوزراء ووزراء الحكومة وقادة الجيش والمخابرات سؤالاً ناتجاً عن هزيمة المخابرات الإسرائيلية مع معركة الذكاء والخداع والدهاء أمام المخابرات المصرية. كان السؤال الموجه إلى جميع المسؤولين الذين اعتبرتهم اللجنة شهوداً يقول: «تريد أن نستمع إلى شهادتك حول المعلومات التى توافرت لديك فى يوم ١٣/٩/١٩٧٣ عندما أسقط سلاحنا الجوى ثلاث عشرة طائرة سورية وفى الأيام التالية وكذلك حول مساعى وتحركات العدو ونواياه لشن الحرب وأيضاً التقديرات والقرارات التى صدرت واتخذت فى هذا الشأن».

طلبت اللجنة تستمع إلى شهادات كبار المسؤولين وتعارض بين إجاباتهم لتكتشف أين كان التقصير ومن المسؤول عنه حتى وصلت من خلال ما استمعت إليه من رئيسة الوزراء ووزير الدفاع ووزير الخارجية ورئيس الأركان وفائد المخابرات العسكرية ورؤساء الفروع العاملين تحت قيادته إلى ضرورة استدعاء باحث مدنى صغير اسمه سودانى.

من هو ألبرت سودانى:

طلبت اللجنة أن يمثل أمامها ألبرت سودانى الباحث اليهودى العراقى وكان باحثاً مدنياً برتبة تعادل رتبة الرائد فى فرع البحوث بالمخابرات العسكرية الإسرائيلية التى كانت مسؤولة عن وضع التقديرات للموقف.

كان سودانى يشغل وظيفة رئيس القسم السياسى بالشعبة المختصة بالشؤون المصرية وهى الشعبة رقم ٦ وكان من مواليد العراق عام ١٩٢٢ وهاجر إلى إسرائيل عام ١٩٥٠ السؤال هو ما أهمية هذا الباحث المدنى فى الشؤون السياسية المصرية التى لا تقارن أهميتها بالشؤون العسكرية بالنسبة لفرع البحوث بالمخابرات العسكرية ولماذا طلبت لجنة إجراءات الاستماع إليه. لقد كان الدافع المباشر لدى اللجنة أنها علمت من رئيس فرع البحوث بالمخابرات العسكرية العميد شاليف أثناء الاستماع إلى شهادته أن سودانى هذا حاول مقابلة رئيس شعبة البحوث المصرية يوم الخميس الرابع من أكتوبر ١٩٧٣ ليبلغه برأيه الخاص عن الحشود المصرية غير أنه لم يتمكن لانشغال رئيس القسم.

المذهل فى الأمر أنك عندما تقرأ شهادة سودانى تكتشف أنه قرر أن يتجه إلى منزله عندما جان وقت الانصراف من العمل دون أن ينتظر رئيسه ليبلغه بأنه يعتقد أن المصريين سيهاجمون بالفعل وأن الأمر لم يعد مناورة.

هل يشير هذا الترهل إلى حالة إهمال داخل جهاز المخابرات الإسرائيلى بحيث يفضل باحث الذهاب إلى البيت فى موعده على الانتظار لأداء مهمة حيوية خطيرة، أم يدل على أن سودانى نفسه لم يكن مقتنعاً بدرجة كبيرة بأن لديه براهين تثبت صحة رأيه فى أن المصريين سيقومون بالفعل بالهجوم نتيجة لإحكام خطة الخداع المصرية.

أعتقد كباحث مصرى أن دراسة شهادة سودانى ستعطينا صورة عن الطريقة التى كان يفكر بها والأسانيد التى اعتمد عليها للسباحة ضد تيار القيادات الكبرى التى كانت تستبعد وقوع الهجوم المصرى أو تعتبره احتمالاً ضعيفاً.

شهادة سودانى أمام لجنة إجراءات:

عندما سأل القاضى إجراءات رئيس لجنة التحقيق الباحث ألبرت سودانى فى بداية التحقيق هل يتذكر واقعة محاولته لقاء رئيسه يوم ٤ أكتوبر والموضوع الذى كان يريد عرضه عليه أجاب بنعم وراح يقدم الموضوع على النحو التالى:

١- أنه كان لديه فى ذلك اليوم الرابع من أكتوبر رأى مختلف عن رأى رئيس الشعبة ورأى بقية الباحثين الذين كانوا يجمعون على أن المصريين والسوريين لن يقدموا على الهجوم أو شن الحرب.

٢- بنى رأيه هذا على قراءة مختلفة للمعلومات الواردة وتقييم لم يساير بقية الباحثين اعتباراً من مارس ١٩٧٣ مع تغيير الحكومة فى مصر.

٣- إنه منذ تلك اللحظة بدأ يدرك خطورة الوضع بسبب قيام السادات بتولى رئاسة الحكومة بنفسه من

اقرأ المزيد من ملف خاص

• **٤١ عاماً على انتصار ٧٣، محمد الجبري يكتب: الجيش الإسرائيلى يكشف ٦ وثائق**

• **٤١ عاماً على انتصار ٧٣، د. طلال واصل يكشف: «المصري اليوم» عن صور نادرة من**

ناحية وأيضاً بسبب خطاب ألقاه السادات بتاريخ ٢٦ مارس قال فيه إننا نسير نحو مواجهة شاملة.

٤- يقول سودانى إنه كان دائماً يدرك أن السادات يعتبر منصب رئيس الحكومة أداة لامتناس غضب الناس والصدمة حيث كان يمكنه دائماً إلقاء المسؤولية على رئيس الحكومة وقت الأزمات.

٥- وبالتالي فإنه نظر إلى قيام السادات بتولى المنصب بنفسه على أنه قد عزم على القيام بأمر بالغ الخطورة.

٦- يؤكد سودانى أنه كان الوحيد فى فرع المعلومات بكل شعبه وأقسامه الذى كان يدرك خطورة هذا التطور وأنه كان يسبح وحده ضد التيار المستخف بمصر والسادات وهو الاستخفاف الذى زرعه خطة الخداع الاستراتيجى المصرية.

٧- يوضح سودانى أنه عندما حشدت الحشود المصرية فى شهر مايو ١٩٧٣ كان لديه إحساس بأن أمراً خطيراً سيحدث. من المعروف أن هذه الحشود كانت جزءاً من خطتنا المصرية للخداع الاستراتيجى باعتبارها مجرد مناورة تنفض بعدها الحشود. ولقد لعبت هذه المناورة دوراً مؤثراً فى استبعاد الهجوم عندما بدأت الحشود للهجوم الفعلى فى أكتوبر، حيث كانت أسهم المخابرات العسكرية مرتفعة وموضع مصداقية، ذلك أنها اعترضت على إعلان حالة الطوارئ واستدعاء الاحتياط فى مايو وفسرت الحشود على أنها مناورة غير أن الحكومة قررت استدعاء الاحتياط مما شكل عبئاً غير ضرورى على الاقتصاد بعد أن تبين أن الحشود مجرد مناورة مصرية كما قدرت المخابرات العسكرية.

٨- من الواضح أن سودانى فى مايو كان منحازاً لفكرة أن المصريين سيهاجمون وهو ما جعل أفكاره عديمة القيمة أمام زملائه ورؤسائه وجعله موضع سخرية وأضعف ثقته فى نفسه.

٩- أما عن حشود سبتمبر وأكتوبر فيقول سودانى للجنة: عندما تطورت الأحداث منذ شهر سبتمبر أدركت أننا لم تكن نمتلك رد فعل شاملاً. وبالنسبة لتجمعات القوات السورية لم يكن لدينا فى الحقيقة جواب واف يفسر قيام السوريين بحشد قواتهم منذ بداية سبتمبر. وأما المزاعم التى كانت تتردد فى فرع البحث من أن الدفاع للحشود هو خوف السوريين بسبب إسقاط ١٢ طائرة لهم فى اشتباك جوى يومى ١٢ و ١٣ من سبتمبر فقد اعتبرتها لا تمثل جواباً شافياً عن سبب الحشود. لماذا؟ لأن الحشود كانت قد بدأت قبل الاشتباك الجوى المذكور.

١٠- على الباحثين المصريين أن يلاحظوا أن هذه أول مرة يرد فيها على لسان أى مصدر إسرائيلى أن الحشود السورية بدأت المعركة الجوية فى ١٢ سبتمبر وبالتالي يرفض تفسير أن تكون هذه الحشود تعبيراً عن الخوف السورى من التعرض لهجوم إسرائيلى. ذلك أن جميع المصادر تجمع على أن الحشود ذات الأهمية بدأت يوم ١٢ سبتمبر لدرجة أن لجنة إمرات قد صاغت سؤالها الرئيسى لجميع المسؤولين حول المعلومات والتقديرات المخابراتية على النحو التالى: «نريد أن نستمع إلى شهادتك حول المعلومات التى توافرت لديك فى يوم ١٢/٩/١٩٧٣ عندما أسقط سلاحنا الجوى ثلاث عشرة طائرة سورية وفى الأيام التالية وكذلك حول مساعى وتحركات العدو ونواياه لشن الحرب وأيضاً التقديرات التى صدرت والقرارات التى اتخذت فى هذا الشأن» كما سبق وذكرنا.

١١- ترى هل نخرج من هنا بدرس مستفاد إذا صحت معلومات سودانى عن موعد الحشود السورية أنه يمكن لفروع وشعب وأقسام متعددة فى أجهزة المخابرات أن تغفل عن تفصيلة مثل موعد الحشود التى بدأت قبل ١٢ سبتمبر وبالتالي تبنى تقديرها فى اتجاه خاطئ أم أن سودانى كان يكذب على اللجنة.

١٢- يربط سودانى فى شهادته أمام اللجنة بين الرأى الذى كان موضع اتفاق داخل المخابرات العسكرية (المسؤولة كما قلنا عن التقديرات) حول استحالة قيام السوريين وهدمهم بالحرب وبين المعلومات حول الحشود والمناورة المصرية ليخلص إلى تقدير مختلف وهو أن مصر وسوريا ستقومان بالهجوم. وأشار هنا إلى تقديرات جاءت من جهة حذفت الرقابة العسكرية اسمها من نص الوثيقة تؤكد أن المصريين سيهاجمون.

التقديرات السائدة لدى القيادات:

من المهم أن يعلم الباحثون المصريون أن التقديرات التى كانت سائدة من جانب قيادة المخابرات العسكرية كانت مخالفة لرأى سودانى. فلقد ورد فى شهادة رئيسة الوزراء جولدا مائير أمام لجنة إمرات أنه بعد ثلاثة أيام من المعركة الجوية فى ١٢ سبتمبر اجتمع مجلس الوزراء وقام وزير الدفاع باستدعاء رئيس الأركان، وقرأت من محضر الجلسة أمام اللجنة ذلك التقدير الذى قدمه الفريق دافيد أليازر، رئيس الأركان، عن توقعاته لرد الفعل السورى على المعركة الجوية.

لقد ابنى تقديره على استبعاد قيام السوريين بهجوم شامل وأنهم قد يكتفون بإطلاق صاروخ على الطائرات الإسرائيلىة فوق الجولان وأكد استعداد الجيش لهذا الرد السورى.

كذلك أكدت جولدا مائير أنها اعتباراً من يوم ١٦ سبتمبر وحتى ٢٥ سبتمبر تلقت معلومات وتقديرات من المخابرات العسكرية تفيد أن السوريين يحشدون قواتهم فى تشكيل طوارئ، غير أن تقدير المخابرات كان مطمئناً.

إلى أن الدوافع لهذه الحشود هى مخاوف السوريين من أن يكون إسقاط طائراتهم مقدمة لهجوم إسرائيلى كبير على القوات السورية. كذلك أوضحت أنها عندما كان فى المطار يوم الأحد ٣٠ سبتمبر للسفر إلى النمسا وصل أول تقرير عن بداية حشود مصرية كبيرة على جبهة قناة السويس، وكان تقدير المخابرات يقيد بأنها مناورة مصرية كبيرة للقيادات والقوات، كما أنها تعبر فى نفس الوقت عن تأثر المصريين بمخاوف السوريين من أن تكون إسرائيل فى طريقها للعدوان على الجبهتين.

إذن سنلاحظ أن الربط الرسمى لدى قيادة المخابرات العسكرية بين الحشود السورية والمصرية كان يتجه إلى تفسيرها تفسيراً بعيداً عن كونها مقدمة لهجوم مصرى سورى تماماً على العكس من الربط الإيجابى الذى قدمه الباحث المدنى سودانى والذى انتهى فيه إلى أن الحشود على الجبهتين تعنى استناداً إلى إنذارات العملاء والمعلومات أن قرار الهجوم قد اتخذ من جانب مصر وسوريا.

وزير الخارجية يشرح مصادر المعلومات والتقديرات

من المفيد هنا أيضاً أن نستجلى معلومات وزير الخارجية أبا إيبان عن الحشود المصرية والسورية والتقديرات المستقرة عند وزارته بناء على ما تتلقاه من تقارير والنسبى فى اتجاه عكس ما ذهب إليه الباحث سودانى. يقول أبا إيبان للجنة فى شهادته «أستأذن فى أن أنطرق إلى توقعاتى وتوقعات وزارتى وتقديرى وتقدير وزارتى بشأن احتمال نشوب الحرب فى الأيام السابقة عليها. ملخص القول هو أن الحرب كانت بمثابة مفاجأة لى ولوزارتى، حيث إن نشوبها فى حد ذاته كان يتنافى مع كل التقديرات التى كانت لدينا حول الوضع العسكرى أو بتعبير أدق التقديرات التى كانت لدينا من الجانب الفنى لذلك الوضع. إن التقدير الفنى العسكرى يمثل أول مصدر لنا لتقدير الاحتمالات بالنسبة لنا. أما المصدر الثانى فهو تقديرات الحكومات الصديقة التى اعتادت أن تشاركنا المشورة والتقديرات فيما يتعلق بالوضع فى الشرق الأوسط،

وهو يقصد هنا الولايات المتحدة فى الدرجة الأولى ودول أوروبا فى الدرجة الثانية».

ويواصل أبا إيبان قائلا: «أما المصدر الثالث الذى نعتمد عليه فهو تقييم مغزى بيانات وأعمال الحكومات العربية المرشحة لدخول الحرب وفى هذا الصدد أقصد بالطبع مصر وسوريا».

ومع ذلك يعطى أبا إيبان أهمية خاصة لتقديرات المخابرات العسكرية، حيث يستأنف القول «ولكن مما لا شك فيه أنه عند وضع تقديراتنا يكون هناك وضع خاص لجميع المعلومات والتقديرات التى تصل إلينا من المخابرات العسكرية، حيث إن الحرب تشب عامة على خلفية استعدادات معينة ظاهرة للعين، ولذلك فإن رصد الواقع الميدانى وتقييم وتفسير هذا الواقع لهما دور مهم فى التقديرات التى تضعها وزارتى هذا فضلا عن أنه لم تتوافر تقديرات أخرى تناقض النتائج التى توصلت إليها المخابرات العسكرية الإسرائيلية. وسوف أذكر التقديرات التى نمت إلى علمى إلى أن وصلت أبناء من القدس فى السادس من أكتوبر عن وجود احتمالات قريبة لنشوب الحرب. من المهم أن تعلم أن أبا إيبان كان موجودا فى الولايات المتحدة منذ ما قبل يوم السادس من أكتوبر لحضور الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقد بلغته أنباء المعركة وهو هناك، ولعب دورا مهما فى إيصال الطلبات الإسرائيلية إلى الأمريكين، كما سيثبتين لاحقا عند الحديث عما كشفته الوثائق عن تفاصيل الدور الأمريكى الداعم لإسرائيل مخابراتياً وسياسياً وعسكرياً.

اجتماع لجنة رؤساء أجهزة المخابرات فى الرابع من أكتوبر

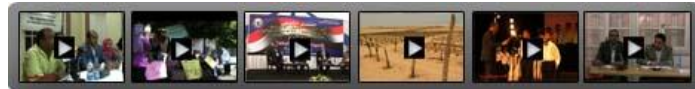
يبدأ أبا إيبان بالحديث عن اجتماع لجنة رؤساء أجهزة المخابرات فى الرابع من أكتوبر وما انتهت إليه من رأى فى الحشود المصرية والسورية. إن هذه اللجنة تمثل هيئة تم إنشاؤها عام ١٩٤٩ وتضم رؤساء الأجهزة الرئيسية داخل منظومة المخابرات الإسرائيلية وهم رئيس الموساد أى المخابرات العامة، ورئيس المخابرات العسكرية ورئيس جهاز الشاباك، أى الأمن الداخلى، كما يشارك فيها السكرتير العسكرى لرئيس الوزراء، وممثل لوزارة الخارجية ومهمتها بحث المسائل المتصلة بالمخاطر والتهديدات والمعلومات المخابراتية المتوافرة حول هذه المخاطر والتقديرات لهذه المعلومات.

يقول أبا إيبان إن تقدير الموقف يوم الرابع من أكتوبر انتهى بناء على رأى المخابرات العسكرية إلى أن الحشود السورية على الجبهة ترجع إلى تخوف السوريين من قيام إسرائيل بمهاجمتهم، ويبدو أن هذه الفكرة جاءتهم من الروس، أما الجبهة المصرية فإن ما يجرى فيها هو مناورة مصرية تهدف إلى التدريب على احتلال سيناء، وهو ما أدى إلى إلغاء الإجازات واستدعاء الاحتياط فى مصر، ولكن ليس لدى المصريين نية للهجوم الفعلى، بل هناك تخوف مصرى من أن تقوم إسرائيل بعملية ضد مصر وهو تخوف متأثر بتخوف السوريين.

إن شهادة أبا إيبان تبين أن رؤساء أجهزة المخابرات كانوا متحازين إلى الربط بين الحشود المصرية والحشود السورية برابطة خوف مصر وسوريا من التعرض لهجوم إسرائيلى، على عكس ما كان يفكر فيه الباحث ألبرت سودانى، وكان تفكيره هو الصحيح والذى تبنت صحته بعد يومين بنشوب الحرب.

سودانى موضع لسخرية الضباط

من الواضح من جميع الوثائق أن الباحث المدنى ألبرت سودانى كان يسمح بمفرده ضد التيار الجارف الذى خلقتة خطة الخداع الاستراتيجى المصرية. لقد أدخلت جميع ضباط فرع الأبحاث المسؤول الأول عن وضع التقديرات الأولية ورفعها إلى رئاسة المخابرات الحربية فى حالة غيبوبة كاملة حالت بينهم وبين الربط الصحيح للمعلومات المتوافرة. لقد قدم سودانى أمام لجنة التحقيق مجموعة معلومات ذات طابع عسكرى أطلع عليها ضباط القسم العسكرى فى شعبة التقديرات ولم يستنتجوا منها شيئاً. ويقول سودانى إنه ربط بينها ووجد أنها تشير إلى أن المصريين يتجهون هذه المرة إلى القيام بهجوم فعلى. يذكر سودانى أنه اعتباراً من يوم الثلاثاء الموافق الثانى من أكتوبر ازداد قلقه من احتمال حدوث الهجوم المصرى بسبب ورود إنذار من مصدر تم حذف اسمه من الوثيقة بواسطة الرقابة العسكرية الإسرائيلية وهو إنذار يقول إن المناورة المصرية ستتحول إلى هجوم حقيقى لم يهتم به الضباط وتزايد القلق عنده عندما وردت معلومة بأن غواصة مصرية تنجح نحو ميناء بورسودان، وأن هناك مدمرات مصرية تنتقل من عدن إلى بربرة فى الصومال ثم معلومات أخرى بأن المصريين أحضروا وحدات بحرية إلى بورسعيد مع منصات إطلاق صواريخ وهو أمر لم يحدث من قبل، وهى منصات صواريخ مثبتة على متن سفن، كذلك وردت معلومات بأن الطيران المصرى اتخذ له مطارات أمامية بالقرب من الجبهة. الأمر الخطير الدال على درجة نجاح خطة الخداع الاستراتيجى المصرية ما يقوله سودانى من أنه خشى أن يعبر عن قلقه وتقديره صراحة حول جدية احتمال الهجوم المصرى فى اجتماع عام لضباط وباحثى الشعبة المصرية يوم الأربعاء ٣ أكتوبر لماذا؟ لأنه تعود أن يتلقى عبارات السخرية والاستهجان من سائر الضباط والباحثين كلما كان يحاول قبل ذلك التعبير عن رأيه المخالف. فقد كان الضباط يمتطرونه بعبارات أشبه بما نقوله فى العربية (اتلهى على عينك) أو إنت غاوى تثير الفزع. إن الوثائق تكشف عن مواضع عديدة تؤكد أن الذكاء والدهاء من جانب العقل المخابراتى المصرى قد أحكما قبضتهما على العقل الجماعى لضباط وقادة وباحثى المخابرات المعادية.



تعليقات القراء

أضف تعليق

عدد التعليقات [٠]
[الأولى] [السابق] [التالى] [الأخير]

الاسم :
البريد الإلكتروني :
موضوع التعليق :
التعليق :